الحلقة 20

ناصر يوسف عبد المحسن البدر.. رجل الحكمة والرأي السديد

إعداد: مازن خرابة

ناصر يوسف عبد المحسن البدر

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح.

فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد ، وكفالة الأيتام، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة عبر هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف في هذه الحلقة مع سيرة ناصر يوسف عبد المحسن البدر.

- احتفظ بعلاقات طيبة ووثيقة مع كل أهل الكويت حكاماً ومحكومين
- حرص على أن يكون له سهم في الخير.. ونصيب في البذل.. ويد في العطاء والجود
- حرص على صلة أقاربه وذوي رحمه وبرهم بما استطاع من أنواع الصلة والبر

ديوان البدر في حي القبلة

المولد والنشأة

هو ناصر يوسف عبد المحسن عثمان محمد البدر، المولود في مدينة الكويت عام 1256 هـ الموافق لعام 1840م، من الشخصيات البارزة في تاريخ الكويت، كان أكبر تاجر لؤلؤ (طواش) في منطقة القبلة في ذلك الوقت، وامتلك العديد من سفن الغوص. ينتمي إلى أسرة كريمة ذات أصول عريقة في الكويت، هي أسرة البدر التي يرجع أصلها إلى قبيلة عنزة، التي كانت تقطن مناطق «تويم» ثم «المجمعة» ثم الزلفي، وهي تقع في وسط شبه الجزيرة العربية ضمن الامتداد الجغرافي لنجد، التي مازالت جذور أسرة البدر باقية فيها، برغم أن الشيخ يوسف البدر غادرها منذ حوالي قرنين من الزمان، عندما أسس هذه الأسرة الكبيرة في الكويت، وقد اشتهرت هذه الأسرة بركوب البحر في مجال السفر الشراعي والغوص على اللؤلؤ، وكذلك تجارة الخيول العربية الأصيلة، التي تمرس بعض رجالاتها في معرفة أصولها وحسن رعايتها، حتى اتجهت في تجارتها هذه إلى البلاد الأجنبية، كما ساهم رجالاتها – كما هو الحال لدى أهل الكويت – في القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم البلاد.

وعماد بيت البدر ومؤسسه في الكويت هو الشيخ يوسف عبد المحسن البدر (1800 – 1879 م) والد المترجم له المحسن ناصر بن يوسف البدر. وقد عرف الشيخ يوسف بن عبد المحسن البدر في تاريخ الكويت والجزيرة العربية بمواقف الإحسان والكرم، وخاصة موقفه في أثناء مجاعة «الهيلك» التي استمرت قرابة ثلاث سنوات.

وقد أصبح «بيت البدر» الذي تبلغ مساحته 3020 متراً مربعاً أثراً من الآثار التراثية القليلة الباقية من كويتنا الحبيبة، إذ أُسس في الفترة من عام 1837 إلى 1847م، أي منذ حوالي 160 سنة، ولذلك فهو يمثل جزءاً من تاريخ دولة الكويت، وقد ضُم بيت البدر إلى إدارة الآثار والمتاحف عام 1968م، واستُخدم مقراً مؤقتاً لمتحف الكويت الوطني عام 1976م.

وقد كانت الصورة الطيبة لكبير أسرة البدر نبعاً صافياً شرب من مائه الزلال كوكبة من رجال هذه الأسرة الكريمة، ومنهم ابنه المترجَم له المرحوم ناصر البدر الذي ورث عن أبيه تجارته، وعلو منزلته، واستمر في أعماله الخيرية، وخدمته لوطنه كما سيتبين لاحقاً.

صفاته وأخلاقه

كان لنشأة المحسن ناصر البدر (رحمه الله) في بيئة صالحة طيبة، في كنف أبيه، أكبر الأثر في تشربه صفات أسرته الكريمة وأخلاقها، فامتاز بالحكمة وسداد الرأي، وحرصه على نصح كل من حوله بالخير والرشاد، فكان يقدم المشورة لمن يطلبها بأمانة وصدق وذلك تأسياً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ للَّه وَلكتَابهَ وَلرَسُوله وَلأَئمَّة الْمُسْلمينَ وَعَامَّتهمْ» أَخرَجَه النسائيَ في سَننه، وَقوله صلَى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» رواه الترمذي.

وقد كان المحسن ناصر البدر (رحمه الله) يتمتع بصفة الألفة مع الناس، ونتيجة لهذا فقد احتفظ بعلاقات طيبة ووثيقة مع كل أهل الكويت حكاماً ومحكومين.

حبه للعلم ومجالسة الصالحين كان المحسن ناصر البدر (رحمه الله) يحرص على مجالسة الصالحين، وصحبة المؤمنين الذين يفيدون بما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، ولذا كان يجتمع في ديوانه بعض أهل الخير من العلماء والدعاة، لتبادل الأحاديث والمواعظ والآراء، فكانوا ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر، وكان يلتقي في هذه المجالس المباركة ثلة من العلماء الأفاضل، والشيوخ الأجلاء، منهم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، والشيخ أحمد الفارسي.

حياته الاجتماعية

عملاً بالتوجيهات النبوية الكريمة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَاب مَنْ اسْتَطَاعَ منْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطعْ فَعَلَيْه بالصَّوْم فَإنَّهُ لَهُ وجَاءٌ» رواه البخاريَ. تزوجَ المحسنَ ناَصر البَدر مرتين: وكانت الزوجة الأولى من نجد، وقد أنجب منها الشاعر الشهير حمود الناصر البدر، والثانية من الكويت وهي فاطمة العقيلي، التي رزقه الله منها خمسة من الذكور هم حمد الذي توفي وهو صغير، ومبارك ويوسف ويعقوب، وحمد الذي سمي على اسم شقيقه المتوفى صغيرا، وثلاثاً من الإناث.

وقد رزقه الله تعالى من هؤلاء الأبناء ذرية كبيرة وأحفاد كثيرين: فمن أولاده الذكور له تسعة عشر حفيداً، غير أحفاده من الإناث.

أوجه الإحسان في حياته: تخلق المحسن ناصر يوسف البدر بأخلاق المحسنين الذين يحبهم الله رب العالمين، ولهذا فقد حرص (رحمه الله) على أن يكون له سهم في الخير، ونصيب في البذل، ويد في العطاء والجود، عملاً بسنة النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينه فَيُرَبِّيهَا لأَحَدكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصيرُ مثْلَ أُحُد» أخرجه الترمذي في سَننه.

لذا فقد تعددت أوجه الإحسان في حياة ناصر البدر (رحمه الله) كما يلي:

عمارة المساجد

أيقن المحسن ناصر البدر بفطرته السليمة أن فضل بناء بيت لله تعالى لا يدانيه فضل، وأن ثوابه وجزاءه لا يعادله جزاء، وليس هذا بعجيب في دين الإسلام، الذي يسعى إلى تزكية وجدان الإنسان، وإعلاء الجانب الروحي فيه.

وليست هنالك بيئة تصلح لهذا الغرض أفضل و لا أطهر من المساجد بيوت الله في الأرض ففيها ترق القلوب، وتدمع العيون، وتنزل آيات الله برداً وسلاماً علي الأفئدة الظمأى فتحييها بالإيمان والطمأنينة، كما ينزل الماء علي الأرض العطشى فينبت فيها الخير، ويحييها بعد موتها، وصدق الله العظيم إذ يقول: «الَّذينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئنُّ قُلُوبُهُم بذكْر اللّه أَلاَ بذكْر اللّه تَطْمَئنُّ الْقُلُوبُ(28)» سَورَة الرَعد.

ولهذا حرص المحسن ناصر البدر (رحمه الله) على أن يبني بيتاً من بيوت الله في الأرض، وقد وفقه الله تعالى إلى تأسيس «مسجد البدر» في الحي القبلي من مدينة الكويت، وذلك من ثلث والده يوسف البدر، وقد كان أصل أرض المسجد ياخوراً، بُنى فيها هذا المسجد، كما أُخذت أيضاً قطعة أرض من شمال الياخور لُيبنى فيها بيت الشيخ عبد الله الخلف (رحمه الله). وفي هذا الصدد يقول الباحث عدنان سالم الرومي في كتابه «تاريخ مساجد الديرة»: «إن السيد محمد بن يوسف البدر (رحمه الله) قد ذكر له أن تأسيس المسجد كان في 24 من شهر رجب عام 1315 هـ (1897 م)». وقد أطلق عليه اسم «مسجد البدر» وجعل له وقفاً لخدمته وخدمة العاملين فيه، وهو من المساجد الجامعة التي تقام فيها صلاه الجمعة، وله ثلاثة أبواب من الشمال الغربي والجنوب والشرق.

وقد أجري للمسجد تجديدان: الأول عام 1328 هـ (1910 م)، وذلك بعدما ضاق بالمصلين فزيد بأمر من الشيخ مبارك الصباح مقدار ستة أروقة أُخذت من حوشه.

وأما الثاني فقد قامت به دائرة الأوقاف العامة حيث جددته ووسعته في الثاني من ربيع الأول 1370 هـ (10 يناير 1951 م)، وقد بلغت تكاليف ذلك 129 ألف و 629 روبية. وقد تناوب على الإمامة في هذا المسجد المبارك عدد من الأئمة الفضلاء وهم:

الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان: وكان أول من صلى فيه إماماً، وأول من ألقى به خطبة، كما درّس فيه الفقه والحديث بعد العشاء، وبعد طلوع الشمس، وظل فيه إلى أن توفاه الله ليلة الاثنين 28 من رمضان عام 1369هـ (1949 م). ثم صلى فيه وخطب الشيخ أحمد خميس الخميس ابن أخت المرحوم الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، ثم تبعه الشيخ محمد بن سليمان الجراح، الذي تولى به الإمامة والخطابة أيضاً، ثم جاء بعده الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العبيدان. ثم خلفه الشيخ درويش بن إرحمة الزواوي، الذي تولى الإمامة والخطابة به ثم انتقل إلى مسجد العثمان في ضاحية عبدالله السالم.

وقد تعاقب على المسجد عدد من المؤذنين، من أشهرهم الشيخ سليمان بن بلال الذي تولى الأذان به حتى عام 1955 م.

الوقف الخيري

أراد المحسن الكريم ناصر البدر أن يعمل بالسنة النبوية الكريمة في وقف الأعمال الخيرية التي تقرب العبد من الله تعالى، وقد اشتهر الوقف في الإسلام بعد غزوة خيبر، حيث أوقف بعض الصحابة ما غنموه من تلك الحصون فجعلوه نفعاً عاماً للمسلمين. وذلك لأنه حسنة يجري ثوابها على الواقف إلى يوم الدين، مصداقاً لقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا منْ ثَلاثَة إلاَ منْ صَدَقَة جَارِيَة أَوْ علْم يُنْتَفَعُ بَه أَوْ وَلَد صَالَح يَدْعُو لَهُ» رواه مُسلم.

ولذلكَ كله فَقَد أوقف رحمه الله أوقافاً كثيرة على مسجد آل البدر وإمام المسجد ومؤذنه وفرّاشه وغيرها من مصروفات المسجد، وهذه الأوقاف – التي سُجلت بموجب وقفية مؤرخة في الثاني من محرم عام 1340 هـ (1922م) – يمكن حصرها كالتالي: واحداً وثلاثين (31) دكاناً. بيت واحد أو قطعة أرض.

وقد كان أصل هذا الوقف قطعة أرض في سوق الماء اشتراها ناصر البدر من الشيخ مبارك الصباح في العاشر من ربيع الأول 1316 هـ، بموجب وثيقة عدسانية حررها الشيخ محمد بن عبد الله العدساني وأقرها كتابياً الشيخ مبارك الصباح وشهد على صحتها كلّ من الشيخ جابر الصباح والشيخ حمود الصباح.

وقد جعل المحسن الراشدين من أولاده، نظاراً على هذا الوقف وقت إنشائه ليشاركوه الأجر والثواب، وليكونوا من العاملين بقول الله عز وجل: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» سورة المائدة.

ولا شك أن مثلَ هذا العددَ الكبير من الدكاكين يعد في ذلك الوقت رأس مال كبير يكفي أن يدر على صاحبه النعمة والمال الوفير، غير أنه آثر على نفسه وأهله وولده لوجه الله تعالى، وبنى لنفسه بيتاً في الجنة إن شاء الله بموجب الحديث المشهور بصيغه المختلفة في هذا الشأن، بل زاد على هذا البنيان قربة بالوقف الخيري الكبير.

إعانة الفقراء والمحتاجين

علم المحسن ناصر البدر (رحمه الله) أن الله تعالى قد فضل بعض خلقه على بعض في الرزق، مصداقاً لقوله تعالى «وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (71)» سورة النحل.

وأدرك أن هذا كله من باب الابتلاء والاختبار، ليرى الله عباده إن كانوا شاكرين أم جاحدين، منفقين أم ممسكين .. لذا حرص على أن يراه الله حيث أمره، باذلاً منفقاً متصدقاً لا يرد محتاجاً أبداً، مبتغياً بذلك كله وجه الله الكريم وثوابه العظيم.

فكان يمد يده بالعطاء للفقراء وذوي الحاجة بما يستطيع من المال أو المؤن كالطعام أو المتاع أو غير ذلك.

وقد كان يفعل ذلك الخير سراً وعلانية، ليلاً ونهاراً، متأسياً خطى الأنبياء والصالحين الذين قال عنهم رب العالمين: «الَّذينَ يُنفقُونَ أَمْوَالَهُم باللَّيْل وَالنَّهَار سرًّا وَعَلاَنيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (274)» سورة البقرَة.

وفاته

بعد حياة حافلة بالعمل والجد في سبيل الله تعالى ملؤها بذل الخير والمعروف لكل الناس توفي المحسن ناصر بن يوسف بن عبدالمحسن البدر في عام 1347 هـ الموافق لعام 1928م. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجعل أعماله في ميزان حسناته. وتقديراً من دولة الكويت لدوره الوطني البارز، وإسهاماته المتعددة في تاريخ الكويت، أطلقت اسمه على أحد شوارع مدينة الكويت.

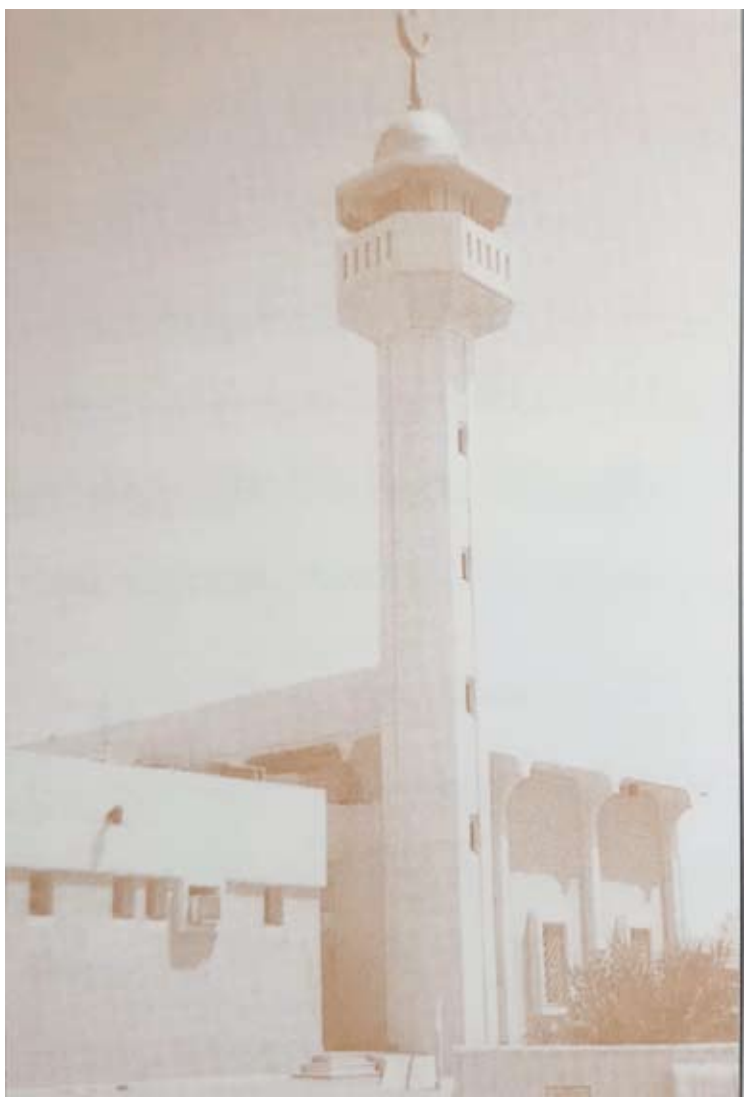

مسجد المرحوم ناصر البدر في غرناطة

من اليمين الشيخ عبد الله السالم والمعتمد البريطاني والشيخ سالم مبارك الصباح والشيخ أحمد الجابر الصباح وناصر يوسف البدر